في مؤتمر المستشرقين الدولي

خطاب السيد محمد كرد علي وزير معارف سورية ورئيس المجمع العلمي العربي في مؤتمر المستشرقين السابع عشر بمدينة اكسفورد يوم ٢٨ آب ١٩٢٨ .

يا سيداتي ويا سادتي :

أصيبت بلاد العرب بعد المئة الثامنة للهجرة بفتور في أعصابها تناول معظم مشخصاتها ومقدساتها . وضعفت في أقطارها مادة الحياة التي كانت متجلية في طبقات رجالها ، فأصبحت لا تعيش الا بقوة التسلسل المنبعثة فيها من قوى الادوار السالفة ، واكتفت بالتغني بماضيها الباهر ، وعزها الغابر .

وكان من اول أمارات تراجع الامة العربية من ميدان الفكر البشري الزهد في العلوم المادية ، والاكتفاء بفروع علوم الدين واللسان . وعلى نسبة ما كان الغربي في تلك الحقبة من الزمن يقوم على قيود الجمود ليكسرها ، وينهض حراً طليقاً كان العربي يزيد للسلطات الدينية والمدنية خنوعاً ، ويحارب العقل فيتدلى ، ويرجع القهقرى .

ورأى الغرب من مصلحة المدنية بعد نهضته ان لا يغفل عن تعرف حالة الشرق القديمة ، ففكر أفراد منه بعد اختراع الطباعة ان يحيوا شيئاً من مدنية العرب كما ، أحيا علماؤهم مدنيتي اليونان والرومان . وذلك لان العرب كانوا الصلة الوحيدة بين اهل المدنيات القديمة وارباب المدنية الحديثة . فأخذ اهل النظر من نبهاء الغرب يلوبون على كتب العرب يجمعونها من الشرق ، ويجعلونها في خزائنهم أجمل قنية واثر ، وأنشأوا يطبعون في مدينة رومية اولاً بعض ما رأوا في نشره مصلحة لهم . وما نشروه قانون ابن سينا الذي ظل يدرس في جامعات الغرب قروناً . ولم تلبث مطبعة ليدن ان شرعت منذ أوائل القرن السابع عشر بطبع بعض كتبنا . وبعد حين انتقلت الطباعة الى الاستانة ولم تطبع بحروفها العربية شيئاً مهماً بلغتنا .

وهكذا اخذت نهضة الآداب العربية تسري ضئيلة في بعض أقطار اوربا ، والشرق لا علم له بما يؤسس ، حتى اذا احتل نابليون مصر أواخر القرن الثامن عشر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وصحبه في رحلته جلة من علماء فرنسا انشأ في القاهرة اول مطبعة عربية وأصدر جريدة رسمية بالعربية والافرنسية كانت ايضاً اول صحيفة عربية . ولم يطل العهد حتى قام محمد علي الكبير يأخذ باليمين ما زهدت فيه ايدي من قبله أعصاراً ، فكان حقاً واضع أساس النهضة العربية ، بما أرسل من البعثات العلمية الى فرنسا ، وما انشأه من معاهد العلم والصناعة على مثال الغرب وبلغة العرب . وما هي الا بضع سنين حتى توفر من اختارهم من صفوة اذكياء بلده على ترجمة العلوم المادية ، وتوطدت اركان النهضة في مصر على أساس علمي معقول ، وبدأ اختلاط الشرقي بالغربي يزداد سنة عن سنة ، خصوصاً بعد اختراع السفن التجارية ، وامتداد الخطوط الحديدية .

وكان علم المشرقيات العربية يضعف في الغرب ويقوى بحسب ميل الحكومات وهدوء الأحوال الاجتماعية . والى العهد الذي قام فيه العلامة سلفستر دي ساسي ، امام المستعربين في الغرب ، لم نعهد مستعرباً جمع الصفات التي تؤهله للبحث في كتب العرب . فكان لهذا العالم الفرنسي الفضل على المستعربين في عصره وطفقوا يختلفون اليه في باريز ، على اختلاف عناصرهم ، يأخذون عنه علوم العربية . ولا بدع اذا كان هو ونبغاء تلاميذه من السويديين والهولانديين والافرنسيين والالمانيين والبريطانيين وغيرهم ممن تمكنوا من معرفة أسرار لغتنا من المستعربين ، هم الذين عنوا بنشر أمهات كتب العرب عن كفاية ثابتة ، ولولا عملهم العظيم لظللنا الى اليوم نجهل مدنية أجدادنا الا قليلا .

طبع المعاصرون لسلفستر دي ساسي ومن خلفهم عشرات من المخطوطات العربية على أجمل طراز ، ومازال هذا الدؤوب يتسلسل في المستعربين من علماء المشرقيات ، على ما كان في أجدادهم البررة ، حتى أحيوا لنا خزانة كتب فيها جماع حضارتنا . فأيدوا بما نشروا حسن بلاء أجدادنا في خدمة العلم ، واكذبوا القائلين بان العرب نقلة ليس فيما كتبوه ابداع ولا امتاع ، ونعوا من طرف خفي على أبناء اللغة أنفسهم قصورهم ، فاكتسبوا بذلك فضل السبق علينا .

ولم نزل معاشر العرب ، على ما بلغته العلوم في هذا القرن من الترقي في مصر والشام خاصة ، عيالاً على المستعربين منكم في التدقيق والتحقيق . وما طبعناه في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مطابعنا عدا الكتب الدينية واللغوية لا يعد الا مثالاً مصغراً من جهودكم المتوالية ، وطول نفسكم ، وشدة أمانتكم ، في الحرص على إخراج نصوص مؤلفينا سالمة من الشوائب . ونحن اذا انتبهنا بأخرة الى نقصنا ، وقدرنا مساعي علماء المشرقيات حق قدرها ، فان الزمن الذي صرفناه في الدرس والبحث لم يكف لان يتأصل في نفوسنا روح العناية والاتقان ، لنخرج بما طبعناه في مصر والشام والعراق والغرب الاقصى والاوسط والادنى عدداً من الاسفار النافعة يبلغ القدر الذى أخرجه الغرب من حيث الكمية والكيفية .

المستعربون الى اليوم لا يطبعون من الكتب القديمة الا ما كان في نشره فائدة ، ونحن ننشر الصالح والطالح ، وقلما خدمنا طبعاتنا بمثل ما تخدمون به طبعاتكم من التجويد . وعسى ان لا يطول الزمن حتى يصبح التحقيق في أدق المسائل ملكة فينا ، على نحو ما غدا لكم عادة مستحكمة نحسدكم عليها حسد غبطة . فلسنا بثقوب أذهاننا وايم الحق دون أجدادنا ، ولا دون غيرنا من الامم الحديثة الحضارة ، ولكن نقصنا ظاهر في قلة الصبر والترتيب ، ومع هذا نعالجه .

وفي الحق اننا لما بدأنا في نهضتنا العلمية في الشرق العربي كان ينقصنا كل شيء ولقي القائمون بالامر ، والداعون الى التجدد ، ضروباً من المقاومة من ارباب الجمود ، فلما تمت الادوات او كادت ، واتسع أفق العمل أمام العاملين ، أصبح الأمل معقوداً بان لا يمضي زمن طويل حتى نضاهيكم في هذه السبيل ، ونتساند معكم حق التساند في ذلك الغرض الشريف ، لا سيما ونحن أحق باحياء تراث السلف ، وان كان العلم ليس ملكاً لأمة ولا لفرد .

* * *

والآن بعد ان حدثتكم بهذا الحديث الذي تعرفونه ، أحب ان انتقل بالاشارة الى النهضة العربية الحديثة ، فانها تبشر بخير عظيم ظهرت آثاره للعيان . فان ما نشرتموه وأجدادكم الطيبين أيها السادة ، من أسفار قدماء مؤلفينا في اللغة والشعر والأدب والملل والنحل والاجتماع والتاريخ والجغرافيا والرحلات والقصص والفلسفة والفلك والطب والطبيعيات والرياضيات والموسيقي والكيمياء والزراعة والنبات والحيوان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وجر الاثقال وعلم الكتب وأسرار الحروف والخطوط من الفروع التي خاض العرب عبابها ، وما طبعناه نحن مقتفين فيه آثاركم ، قد أحييت به امور كثيرة من معالم الحضارة العربية ، فدخلت لغتنا خصوصاً بعد اتقاننا آداب الامم الكبرى الحديثة في طور جديد ، وانقلبت سحنة الشعر والنثر عندنا ، ودخلت الكتابة والخطابة والتأليف والوضع في دور ما كان لها الا في أرقى عصور الدول العربية الرشيدة .

وشهد الله ان اللغة العربية اليوم تكتب بسلاسة لا تقل عن السلاسة المتمثلة في أرقى اللغات الغربية . وقد ظهرت لنا في العهد الاخير في مصر والشام والعراق وغيرها صحف ومجلات وأسفار ومطبوعات فيها من الابداع شيء كثير ، اذا ترجم بعضها بلغة من لغات العلم في هذا القرن لا نخجل منها ، بل نرفع بها الرؤوس ، ذلك لانا عرفنا ان الغرب لم ينهض نهضته الغربية هذه الا بالاخصاء فنشأ منا الاخصائيون في اكثر العلوم وأثر كل ذلك في لهجتنا ، ورجعنا الى الأساليب التي كان يكتب بها العلم أجدادنا ايام جُدة اللغة . حتى ان اللهجة العامية اليوم في مصر والشام وتونس أرقى مما كانت قبل خمسين سنة ، دخلها كثير من الفصيح ، وحسنت تأديتها ، ولبست حلة انيقة من الرشاقة تزينها جودة الفكر . وكلما ارتقى التعليم في بلادنا ، وصقلت الأذهان ولطفت الأذواق ، زادت لغتنا رقة ودقة ، وقربت من أساليب الفصحاء لا محالة ، فقد رأينا اليوم صبيان الكتاتيب ينطقون بالفصيح ويكتبون بالفصيح ، على صورة لم تكد تكتب منذ اربعة قرون الا لافراد قلائل جداً في كل قطر أفنوا أعمارهم في تعلمها ، على حين يتقن ذلك التلميذ من ابنائنا الآن في بضع سنين ، بفضل الأساليب الحديثة التي لقفناها عن الغربيين ، وانتشار علم التربية والتعليم في معلمينا وأساتذتنا ، مما طبقناه بالأخذ منكم في مدارسنا ، فارتفع به مستوى العلم بين ظهرانينا .

وما برحنا ، وفي ذلك الفخر العظيم لنا ، نرسل الى جامعاتكم بالمئات من طلابنا تتلقون العلوم على اختلاف ضروبها على أساتذة الغرب ليعودوا الينا يعلمون ويهذبون ، وينقلون الينا من مدنيتكم كل ما يحيي مدنيتنا القديمة ، ويقربنا من تمثل المدنية الحديثة ، على ما كان المولعون بالعلم من أجدادكم ينزلون الاندلس ليأخذوا العلم عن علماء العرب . اذا عرفنا هذا فقد صح لنا ان نقول من دون ما مبالغة ان في الشرق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العربي الآن مدنية جديدة لا شرقية ولا غربية ، جمعت من مدنيتنا ومدنيتكم الأطايب . وكان لاوربا واميركا بذلك الفضل على كل عربي في آسيا وافريقية .

ان أسفار الأجداد تنشر اليوم بالطبع في مراكش والجزائر وتونس والعراق وزنجبار والهند وفارس . وكانت مصر والشام سبقتا تلك الاقطار ، واليوم يسبق هذان القطران سائر الأقطار العربية للتوفر على احياء ماائدثر من تلك العظمة القديمة وتمشي على اثرهما تونس والعراق ، ولكن عمل مصر والشام أقوى في هذا الباب لانهما تقدمتا للدخول في ميدان الحضارة قبل غيرهما ، ومصر اليوم بانتشار التعليم والتمدين ليست دون كثير من شعوب الغرب ، وربما فاقت بذكاء ابنائها ، كما فاقت بزكاء تربتها .

واذ عرفنا ان الشرق اعطى للغرب فيما مضى مختاراً ، والآن يأخذ منه العلوم مختاراً ، حق علينا ان نطلب دوام هذه الصلة بل بعثها الى أقصى حد ممكن لاقتضاء مصلحة المدنية ذلك . أريد ان أقول اننا كلنا في حاجة ماسة الى التضامن العلمي ، وإحكام صلات التعاون بيننا ، فبقدر ما يزيد خلاطنا نتأصل المدنية وتزول الفوارق بين الامم والشعوب ، فترتفع بذلك مشاكل كثيرة ، فالشرق لا يعيش وحده ولا الغرب كذلك .

انبعثت النهضة الأخيرة عندنا من القاهرة اولاً ثم تلتها بيروت ثم دمشق وتونس ، واليوم اخذ شعاعها يسري الى بغداد ، فاذا اخذتم بايدينا حقاً تلحق بنا غداً صنعاء ومكة وفاس وغيرها من بلاد العرب : ومن جملة دواعي الاختلاط الرحلة الى البلد الذي يراد تعهده ، وهذا أصبح من الميسور جداً لنا ولكم بعد اتقان وسائط النقل السريع .

ولما كان علماء المشرقيات قد اجتمعوا اليوم اجتماعهم السابع عشر في هذه الجزيرة السعيدة وفي حمى أقدم جامعات القارة الاوربية ، رأت دولة سورية ان تدعوكم الى التفضل بعقد مؤتمركم الثامن عشر في مدينة دمشق ، اول ارض انبعثت منها المدنية العربية ، وفيها وقع اول تدوين في الاسلام ، وفيها بدئ بتعريب مدنية القدماء ، وفيها أنشئت اول خزانة كتب عند العرب ، ومنها نقل العلم العربي الى بغداد شرقاً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والى الاندلس غرباً . فباسم دولة سورية و باسم المجمع العلمي العربي وهو المجمع الوحيد في أقطار العرب الذي يتفانى في إحياء لغتهم وبعث مجدهم القديم ، ادعوكم الى إجابة دعوتنا لتشرفوا عن كثب على جهود أمتنا ، وتدلوا بتفضلكم انكم مجمعون قلباً وقالباً ان تزيدوا صلاتكم بديارنا وانكم منا ونحن منكم في باب هذا الاجتهاد .

وان ارضاً كانت عش العظماء في الاسلام ، أخرجت بني أمية وعلماءهم ، وهي مهد العجائب والاديان ، وآية الجمال الطبيعي في البلدان ، حرية ان تزار وتتعهد بالذكرى . فهي من اقصاها الى اقصاها متحف طبيعي حيثما انقلب المرء يرى عظمة القدماء ، وبدائع الطبيعة الساحرة . وان ما في خزائننا من المخطوطات التي تنتظر منكم ان تتعاون على إخراجها للناس ، وما في ديارنا من مصانع وآثار جدير بان يزار ، وان تقدس تلك العقول التي انتجته ، وبذلك نكون قد خطونا خطوة مهمة نحو تعاون الشرق مع الغرب تعاوناً فعلياً اساسه العلم والنور ورائده تبادل الحب والسلام اه .

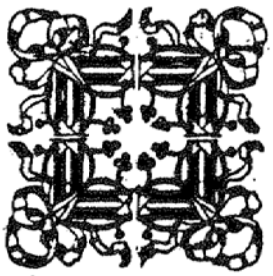

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net